

انتحار كاتب محترم

تاجان بلا رأس

لست بالناقد الأدبي المؤدب المهذب العارف بأصول النقد وخطوطه وتفصيله الدقيقة، ولكن من حقي كقارئ أن أعبر سلباً أو إيجاباً.. مدحا أو قدحا.. عن محتوى ما أقرأه.. تعبيراً لا يستند إلى قواعد النقد التي يعرفها النقاد وأقنوا أعمارهم في دراستها والتحويم حول قواعدهما والغوص في فنونها وتجريب مدارسها ومتابعة جديدها.. بل هي انطباعات شخصية أسجلها تعليقا على ما أقرأ وقد أفلح وقد أخفق وقد أجنح جنوحا وأنشط شططا بعيدا.

أقول هذا وأسوق تلك المقدمة الواجبة التصريح والتدبيح إبراء للذمة.. وحتى لا أوقع من أكتب عنه في دائرة ظلمي له ولما كتبه ولما قرأته مما كتب.. فما ذلك الذي أكتبه إلا انطباعات شخصية مجردة.. لا تخضع لقواعد النقد التي يعرفها أهل النقد وأصحاب الاختصاص.

أكتب اليوم عن آخر رواية كتبها المبدع يوسف زيدان وهي رواية «مجال».. والتي أرى أنها نزع عن صاحبها «زيدان» تاجيه.. تاج «عزازيل» وتاج «النبطي»..

شخصية أو هوية يوسف زيدان الأدبية.. تشكلت من خيوط إبداعه في مزج حقائق التاريخ بالخيال الروائي الخلاق.. وذلك ما كانت عليه رواياته «عزازيل» و«النبطي».. وتوظيفه إمكانياته وقدراته ومعارفه بتعاريخ التاريخ ومنعرجاته وتعرجاته والتواءته.. في حبكة الروائي الجميل ليكون الناتج عملاً روائياً وإبداعياً عالي القيمة ورفيع المستوى وغنيا بالمعلومة.

ذلك ما كان عليه زيدان في روايته السابقتين «عزازيل» و«النبطي».. ولكنه في روايته الجديدة «مجال» خلع عنه تلك الحلة القشبية المزركشة وغير المتوافرة في سوق الرواية ولا في دكاكين الروائيين.. ليرتدي بدلة مما ترتديه عامة الروائيين وما تبعه الأسواق برخص التراب وما يعرض على عربات الباعة الجائلين وتنادي عليه ألسنتهم لتسويقه بين الدهماء والسوقة والرعاع وبيعه على من ضاقت أيديهم عن نيل الغالي والنفيس.. ومن أجاتهم الحاجة إلى شراء الرخيص والبال!

هكذا بدا لي يوسف زيدان بروايته «مجال» والتي سار فيها سير الأولين والحكاكين والحكايات من نمط الجذات

بقلم: صالح الشايجي
katebkom@gmail.com



«مجال».. قتلت

يوسف زيدان بإرادته..

يوسف زيدان..

يتحول إلى شاهد فضائي..

خلع تاجيه

وتدنر بخرق بالية..

الجيش السوري

والجبل المنسي..

سؤال سهل..

دون إجابة..



الكويتي..

بطل اختراق القوانين..



وطنا ثانيا له يحج إليها كلما هاجت به نيران الحب وكوته جمراتها.. حتى يقعا بالمحظور متكئين على عزمهما الارتباط الزوجي.. ولكن ودون الدخول في التفاصيل «جرت رياحهما بما لا تشتهي سفنهما» فلا يتحسق الارتباط الشرعي وتفرق بينهما الأيام!

لست بصدد سرد تفاصيل الرواية ولكن قصدت تبيان الفيركة ولي الأحداث بصورة درامية مفتعلة.. كالتي نراها في الأفلام والمسلسلات العربية.. لآتي سريعا على بيت قصيد الرواية «الزيدانية».. فالراوي زيدان يُنقل بطله من مكان إلى مكان.. «أسوان»..السودان..الإسكندرية.. الدوحة القطرية.. إمارة الشارقة.. أبوظبي.. أوزبكستان.. باكستان.. أفغانستان.. وأخيرا «غوانتانامو»..

تسلسل أحداث الرواية ساذج وسطحي وفج ومفبرك ومفتعل وما يفضح ذلك ويكشفه تضمنين الرواية موقفا سياسيا شارجيا وغير ناضج ولا هو واع لكتابها وتحويلها لتكون أقرب شيء لتشيرة أخبار فسي القوات العربية الإخبارية التحريضية.. وتجلّى ذلك في وصفه لعمليات التعذيب لك «مجاهدين» التي تقوم بها القوات الأمريكية في سجن «باغرام» الأفغاني.. وهو تعذيب خيالي صب فيه الكاتب كرهه لأميركا مجازاة لغوغائية الشارح العربي.. ولمصلحة الأنظمة الديكتاتورية وبإخذهم إلى النوم السريع!

تقوم الرواية على قصة مرشد سياحي مصري الأم سوداني الأب يعمل في «أسوان» المكتنزة بالأنهار الواقعة في الجنوب المصري.. والتي يتقاطر عليها السياح الأجانب محبو الآثار وما أندثر من أزمته وبقيت لها شواهد على الأرض.

ويتعرض المرشد الشاب الأسمر لبعض الإغواءات والإغراءات من قبل بعض النسوة السائحات الأجنبية ممن ولي بهن الدهر وشرب عليهن من جداول النسيان ما أظفا ظمأه منهن.. ولكن الشاب المتربى الملتزم بخطوط الحلال والحرام يأبى المعصية ويرفض الوقوع في حبال الحرام.. إلى أن يقع في حب «نورة» الطالبة الإسكندرية التي جاءت إلى أسوان ضمن رحلة جامعية جماعية تضم عددا من طلبة وطالبات!

يغرم الاثنان ببعضهما يجعل الشاب الإسكندرية

وهذا ما قلل من شأن الرواية «الإخبارية» وكذلك من شأن كاتبها يوسف زيدان الذي اعتبره قد انتحر أدبيا وإنسانيا من خلال هذه الرواية «مجال»! ويبدو أن محبسة زيدان قد جفت.. وأن زيت سراجة قد نفذ فانطلق السراج.. وأوقد نار الحسرات عليه!

فكيف يتكلم من في «فيه» دم؟! مادام الجيش السوري على هذه السدرجة من الوحشية والدموية واللاإنسانية ويمسك كل هذه القدرات القتالية المتوحشة.. فلماذا لم تستغله حكومته وعلى مدى أكثر من أربعين عاما لبحررب جبلا سوريا اسمه الجولان وتحتله إسرائيل منذ خمسة وأربعين عاما؟! فما رأينا من وحشية وقسوة وغلظة تمكّن هذا الجيش العرمم من تحرير - لا الجولان وحسب - بل جميع أراضي 48 وغزة والضفة وربما لسواء الإسكندرية والجزر الإماراتية وإقليم الأحواز العربي المحتل من قبل إيران!

وذلك لأن الجيش القادر على سحق شعبه يمثل هذه الصورة الوحشية التي يقوم بها الجيش السوري ضد السوريين في مختلف الأراضي السورية والتي تمثلت بانعدام الضمير وفقدان الحس الإنساني لدى أفراد وقادته العسكريين والسياسيين.. مثل هذا الجيش هو بالتأكيد سيكون أقوى وأشد فتكا لو حارب أعداءه ومحتلي أرضه.. فالجيش - الذي يمكنه نبح أطفال بلاده بالسكاكين وحز رؤوسهم وبقر بطون الحوامل واغتصاب نساء بلاده - لاشك في أن أقوى الجيوش ستستسلم أمامه وتخضع وترجع وتترك له الجمل بما حمل!

فلماذا تأخر بشار الأسد على شن الحرب على أعدائه طوال اثني عشر عاما هي مدة حكمه.. ولماذا تأخر والده - من قبله - وعلى مدى ثلاثين عاما عن محاربة إسرائيل.. وهما يمتلكان مثل هذا الجيش الوحشي العرممى بوحشيته وقسوته وفظاعاته؟ والذي أنا على يقين من أن الجيش الإسرائيلي لا يتمتع حتى بالقدر القليل والنزر اليسير مما يتمتع به الجيش السوري من وحشية وقدره على الفتك!

سؤال بالتأكيد جال في أذهان كل من يتابعون مجريات الدم السوري والأحداث الإجرامية والفظائع التي يرتكبها هذا الجيش.. ولكن مشكلة هذا

السؤال أن الجميع يسألونه دون أن يجيب عنه أحد.. رغم أن الإجابة سهلة ولكن المسؤول ممنوع عن الإجابة لأن في «فيه» ماء.. أو ربما في فيه «دم».. فكيف يجيب من كان في فيه «دم»؟! ممكن «تولع» لي!

أضحكني - مثل ما أضحك غبيري - ما قيل عن نية الحكومة تطبيق قانون منع التدخين في الأماكن المغلقة والمقاهي والمجمعات التجارية.. أما سبب الضحك فهو يقيني بعجز الحكومة عن تطبيق مثل هذا القانون أسوة بما حدث مع قانون النظافة الذي مات أثناء الحمل وهو جنين في بطن أمه لذلك لا يتذكره أحد..

حكومتنا شاطرة بإصدار القوانين.. ولكنها راسية في التطبيق وتقدم ورقة الامتحان بيضاء مثل قلوب خصومها.. الكويتي الحديث تربى على سياسة خرق القانون وتحديه لا على احترام القانون والانصياع له.. إنه يستمد قوته من خلال تحدي القانون.. ويؤكد مواطنته وشرعته الكويتية بدوس القانون..

والحكومة التي تريد تطبيق منع التدخين «موديل 2012» عليها قبل أن تتسرع بالحكي عنه وقبل الإعلان عن سلطاته ومبادئه.. عليها أن تقوم بجولة من قوفسة محفوفة فسي أرجاء مطارها الدولي.. لتري وتشاهد وتقرأ اللافتات المرفوعة على حواطه وجرانته وكل باب من أبوابه.. والتي تنص على قول واحد وحيد «التدخين ممنوع».. أو حسب الخطة الشائع والذي لا تقوى الحكومة على مخالفته «ممنوع التدخين».. لتري في المنوط بهم تطبيق القانون واقتراس مخالفيه.. لتري - أنهم هم قبل غيرهم - من يقومون بالتدخين تحست لافتة تعلق رؤوسهم وتنص على منع التدخين.. وهذا الأمر بالتأكيد شجع العامة على انتهاك قانون منع التدخين..

والكويتيون - كما هو معروف - يحرزون دائما المراكز الأولى في اختراق القانون و«النون» وما يعلمون..».. والوحيدون الملتزمون بمنع التدخين في المطار - وحسب مشاهداتي - هم اخواننا الوافدون من عرب وأجانب.. ولكن الكويتي يصعب عليه أن يلتزم مثلهم حتى لا يعرض نفسه لشبهة أنه غير كويتي، أو أنه كويتي خسوف يلتزم بالقانون.. مسكبن!

